مكتبة الصفاء
سعيد محمد علي دبوز

مشايخي كما عرفتهم

تأليف

الدكتور: محمد صالح ناصر

دار الريام

1429 هـ/2008 م

* عنوان الكتاب: **مشايخي كما عرفتهم**

* تأليف: **الدكتور محمد صالح ناصر**

* تنسيق وإخراج: **محمد أحمد جهلان**

* الطبعة الأولى ، 1429هـ/2008م

* الناشر: **دار الريام**

العنوان: 101حي الماندرين، الصنوبرالبحري
المحمدية، الجزائر

محفوظة جميع الحقوق

الشيخ محمد علي دبوز

(1337-1402هـ/1919-1981م)

قيل عنه:

«. . . هذا أول كتاب صفَّى تاريخ المغرب من زيف السياسة القديمة والاستعمار اللاتيني، ونادى بالوحدة والتضامن والمحبة والتعاون بين أهل المغرب والعالم الإسلامي، فالأستاذ الأديب محمَّد علي دبُّوز جدير بكل تشجيع وإعجاب وتقدير من العالم الإسلامي والأمة العربية كلِّها، لما قام به من مجهود مشكور سيذكره له التاريخ».

الأستاذ محمد عطية الأبراشي، تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص10.

«. . . تُعدُّ موسوعة "تاريخ المغرب الكبير" الدلالة على قدرة الجزائريين في ميدان الفكر، كقدرتهم في ميدان الحرب، حين يقوم مؤرخ باحث كالأستاذ دبُّوز بكتابة أكثر من خمسة آلاف صفحة مستعرضًا فيها تاريخ الأجيال، مراجعًا كلَّ ما كُتب في هذا الصدد، كاشفًا عشرات من الحقائق التي شوهها المؤرِّخون والكتَّاب».

الأستاذ أنور الجندي، مفكرون أدباء، ص248.

الشيخ محمد علي دبوز
بطاقة تعريفية مختصرة

- ولد محمَّد علي دَبُّوز بمدينة بريَّان من ولاية غرداية جنوب الجزائر في سنة 1337هـ موافق فبراير من سنة 1919م.
- تلقَّى تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه على الأستاذ المقرئ الشيخ صالح بن محمد بسيس.
- انتقل إلى القرارة ليلتحق بالبعثة العلميَّة سنة 1934م.
- زاول دراسته الثانوية بمعهد الشباب (الحياة) في أواخر الثلاثينيات.
- سافر إلى تونس والتحق بجامع الزيتونة حوالي 1942 أو بعدها بقليل.
- في سنة 1944 - والحرب على أشُدِّها - قام بمغامرة السفر إلى القاهرة عبر حدود ليبيا واضطُرَّ إلى قطعها مشيًا على قدميه فرارًا من الإنجليز.
- رابط بدار الكتب المصرية قارئًا والتحق بجامعة القاهرة مستمعًا إذ لم يكن يملك الشهادة التي تخوِّل له الالتحاق بها رسميا. وكان له بدار الكتب كرسيٌّ خاص به يدعى كرسي محمَّد علي دبُّوز.
- فتحت القاهرة أمامه آفاقًا علميَّة واسعة وتخصَّص في دراسة علم النفس، والتربية، والتاريخ، والأدب، وتعرَّف على أدباء مصريِّين وصادقهم، مثل محمَّد عطية الأبراشي، وأنور الجندي، والدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، وحضر إلى محاضرات وندوات كثيرة.
- التحق بمعهد الحياة مُدَرِّسا فور عودته إلى وادي ميزاب سنة 1948، واستُقْبِل باحتفالٍ عظيم، بعد غياب طويل، باعتباره من أوائل الخريجين

بدراسة جامعيَّة وإن لم تكن بشهادة رسمية، وتخرَّج على يده الكثير من الطلبة، وكان أستاذًا مربيًّا بحق.

- قام بدور عظيم في تطوير برامج الدراسة بالمعهد، وأدخل مواد جديدة إليه مثل علم النفس والتربية، والمنطق، وتاريخ المغرب الكبير.
- شارك بقلمه الأصيل في نشر عدَّة مقالات في جريدة البصائر، ولاسيما ما بين 1948- 1955، وتميز بأسلوبه السلس وخياله الواسع، وقدرته الفائقة على التعبير.
- عكف في هذه المرحلة على كتابة تاريخ المغرب العربي الكبير بأسلوب جديد، وقام بجولات عبر الوطن وخارجه لجمع مادَّته من المكتبات، ومن أفواه العلماء بصفة خاصَّة. وجمع من أجل ذلك وثائق وصُوَر وتسجيلات كثيرة مهمَّة.
- في سنة 1962، وبعد الاستقلال مباشرة أخذ ينشر كُتبه، فتلاحقت هذه المجموعات الضخمة، "**تاريخ المغرب الكبير**" في ثلاثة أجزاء ضخمة، "**نهضة الجزائر الحديثة**" في ثلاثة أجزاء، "**أعلام الإصلاح**" في خمسة أجزاء.
- ترك مكتبة ثريَّة غنيَّة بالوثائق المصوَّرة والمسجَّلة، حافلة بأمَّهات الكتب في مسقط رأسه برِّيان، يقوم على الحفاظ عليها أنجاله الكرام، وتدعى اليوم "مكتبة الصفاء".
- انتقل إلى رحمة الله بعد مرض عُضال في مسقط رأسه بريان يوم الجمعة 16 محرَّم 1402هـ الموافق 13 نوفمبر 1981. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

الشيخ محمّد علي دبُّوز
مؤرِّخ المغرب الإسلامي

لا أدَّعي بأنَّ هذه الصفحات القليلة دراسة جادَّة عن أستاذنا الشيخ محمَّد علي دبُّوز لأنها في الحقيقة عبارة عن مقالتين كنت قد نشرتهما في الصحافة الوطنية[1] تعريفا لجهوده في كتابة تاريخ المغرب الكبير، وكنت أمني النفس أن تكون فصلاً واحدًا من فصول عديدة من كتاب يكون أشمل وأعمق وأكمل، ولكن تراكم الأعمال وتعدُّد الموضوعات الملحَّة على الكتابة هنا وهناك حالت كلُّها دون تحقيق هذه الأمنية.

وأمام إلحاح إخواني أعضاء جمعيَّة الفن الأصيل لمدينة برِّيان وهم يستعدُّون للاحتفال بالذكرى العاشرة لوفاة أستاذنا، رأيتني مضطرًّا للنزول عند رغبتهم وتقديم ما تيسر لأنَّه يعزُّ عليَّ أن تمرَّ الذكرى دون أن يكون لي فيها نصيب. ولعلَّ من توفيق الله أن يتزامن هذا الاحتفالُ مع الاستعداد للاحتفال بمرور سبعين سنة لتأسيس "**معهد الحياة**"(*)، وبمرور ستِّين سنة على نشأة "**جمعيَّة علماء المسلمين الجزائريين**"، وللذكريين ارتباطٌ وثيقٌ بتاريخ أستاذنا وجهوده المضنية في سبيل الإشادة والتعريف بالمؤسستين مُشَارَكَةً وتأْليفا؛ فقد كان ركنًا عتيدًا في معهد الحياة، كما كان كاتبًا لامعا في جريدة البصائر،

1- ينظر، جريدة الشعب (الجزائرية) الصادرة في 1989/11/12، أيضا عدد 1989/11/13

*- هذا ما كتبته سنة 1991 مقدمة لكتابنا: «**محمد علي دبُّوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ**»، دار البعث، قسنطينة، 1994.

وما زلت أتذكر جيدًا كيف كان حريصًا على التعريف بالمعهد كلّما جمعه برجالات مصر مجلسٌ[1]، وهم ما كانوا يصدِّقون أن يكون في الجزائر معهد على هذا النحو الذي يصفه به الشيخ محمَّد علي، وعهدُهم بالجزائر قد مسختها فرنسا مسخًا، وأحالت لسان أبنائها إلى عجمة وتغريب.

لقد طبع الشيخ محمَّد علي دبُّوز تلكم المؤسَّسة التعليمية، بطابعه الخاص الذي يتميَّز به مدَّة ثلاثين سنة (1948-1981) طبعها بالعمل الجادِّ، والنظام الدقيق، والتفاني في سبيل التحصيل والمعرفة. ولا أعلم فيمن رأيتُ أو سمعت من مشايخنا من استطاع الوصول إلى درجة الشيخ محمَّد علي غراما بالعلم، وافتتانا به، وانصرافًا كليا إليه؛ فقد كان نسيج وحده في الحياة الجادة التي يحمل نفسه عليها نظامًا دقيقًا في تصرُّفاته وأعماله، ومحاسبة أدق على كل ثانية تمرُّ من عمره؛ وصبرًا وجلدًا قويَّين على ذلك النظام وتلك المحاسبة، بل وعزيمة أشد وأقوى على أن يربي تلامذته وإخوانه وأهله على هذا السلوك الصارم والاجتهاد الدائم.

لقد أعطى للعلم كلَّ ما يملك من نفس ونفيس، وجاهد وصابر، وشرَّق وغرَّب، غرامًا به وهيامًا، فعلَّم وتعلَّم، وأنشأ وألَّف، وأخلص في كل ذلك لله علمه وأعماله، فبارك في جهاده وترك بصماته الواضحة في هؤلاء التلاميذ والطلاب من أبنائه الكثيرين الذين ما فتئوا يذكرونه لخلاله الكريمة الشخصية العظيمة. فقد كان رحمه الله يجمع بين دماثة الأخلاق وجدية السلوك.

1- أذكر أنه ألقى محاضرة قـيِّمة بنادي طلاب المغرب العربي بالقاهرة في ديسمبر من 1963م تعريفًا بالحركة الإصلاحية في الجزائر، كان لها صدى واسعا في الأوساط الثقافية. (ينظر ملف الشيخ أبي اليقظان من هذا الكتاب)

يذكرونه معلّما ومربّيا، ويتفكّهون بنوادره ونُكته، ويردّدون تشبيهاته وصوره الرائعة التي كان يأتي فيها بالعجب العجاب، والطريف الخلاب، وهم من أجل ذلك أحبوه حبَّ الصديق، واحترموه احترام الوالد.

ولمن فاته شرفُ التتلمُذ على الشيخ محمَّد علي دبُّوز لا شك في أنه سيجد قبسًا لهذه الشخصية التعليمية من خلال كُتبه وكتاباته، فهو يتجلّى من أسطر هذا التراث الفكري الضخم الذي كرَّسه لتاريخ الجزائر قديمًا وحديثا بأسلوبه الأخّاذ، ومنهجه المتميِّز، ومهما اختلفنا حول تقييم المنهج، فإننا لا نختلف حول المجهود الجبَّار الذي بذله لجمع مادَّة كتبه فسهَّل بذلك الطريق للباحثين، وأنار السبيل للدارسين. وستظلُّ هذه المؤلفات إلى جانب مادته الغزيرة، معينًا شرابه الأدب العربي الغضُّ، والأسلوبُ السلس المبين، فهو من القلّة القليلة من المؤرخين المعاصرين الذين يكتبون التاريخ بأسلوب أدبي راق، ويستنطقون حوادثه متفاعلين معها مستنبطين أبعادها معايشين لها بكلِّ خلجة من خلجات نفوسهم، وبكلِّ خفقة من خفقات قلوبهم.

من أجل هذه الجوانب الثريَّة التي تزخر بها شخصية أستاذنا المرحوم مربياً قديرًا، ومؤلفًا غزيرًا، وأديبا رقيقًا... من أجل ذلك كلِّه لا أحسني قادرًا على الإحاطة بها في هذه الصفحات القليلة، وعسى أن يشفع لي في هذا العمل المُقَصِّر حرصي على ألا تفوتني الفرصة دون أن أعبِّر عما أشعر به نحو أستاذي وشيخي من محبَّة، واحترام، وتقدير، آملا أن يوفِّقني الله أو يوفِّق غيري من الأساتذة إلى دراسة أكمل وأشمل، والله ولي التوفيق في البداية والنهاية.

د. محمد صالح ناصر

الجزائر في: 1991/05/18

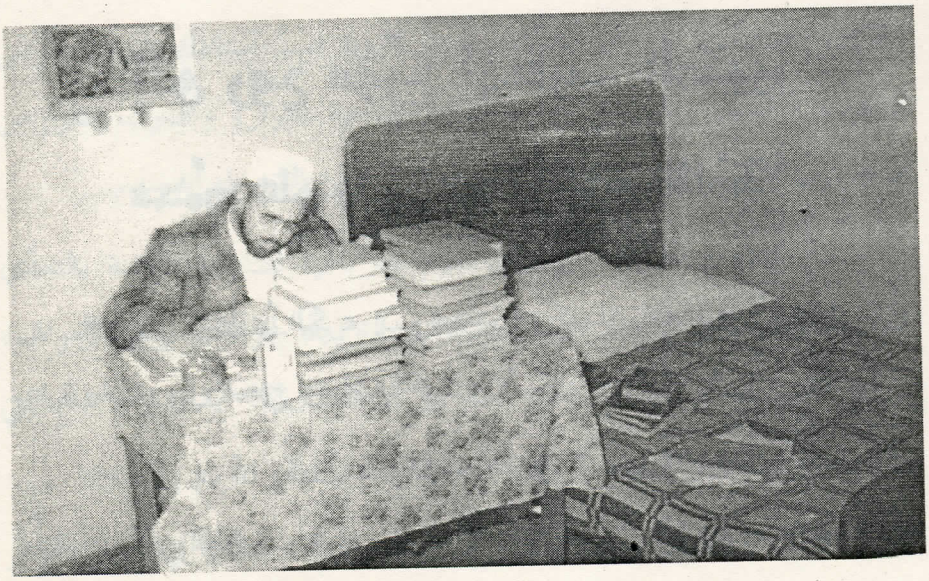

الشيخ محمد علي دبُّوز في (شقّته) بالقاهرة حيث يؤلف عن تاريخ المغرب الكبير، سنة 1963م.

الشيخ محمد علي دبُّوز مع ولده مؤلف الكتاب، بميدان التحرير بالقاهرة، خريف 1963م، أيام السعي الحثيث للاعتراف بشهادة المعهد

إلى روح مؤرِّخ المغرب الكبير

محمَّد علي دبُّوز في ذكراه الثامنة(*)

اسمح لي أستاذي الكريم إن وجدتَ في كلماتي انتفاضة الألم، وفي نبراتي مرارة الخيبة، وفي لهجتي ارتعاشة الحزن والأسى.

اسمح لي إن أنا وقفتُ هذا الموقف الذي لم تعلِّمنا إياه، فقد كنتَ دائمًا تحثُّنا - وأزيز الطائرات فوق رؤوسنا - أن نتحدَّى الصعاب، ونمضغ الألم، ونتعالى على الشدائد والنكبات.

اسمح لي أستاذي، لأنَّ ما جرى في (القرارة) قرارة العلم، والأخوة والمحبة - منذ أيام - أكبرُ من أن يصدِّقه العقل، وأهولُ من أن تتحمَّله النفس، وأفظعُ من أن يتقبَّله إنسانٌ سوي.

اسمح لي أستاذي، فمن كان يصدِّق ونحن نستعدُّ للاحتفال بالذكرى الخامسة والثلاثين للثورة التحريرية المجيدة، هذه الثورة التي واكبتَها بكلِّ خلجةٍ من خلجات نفسك، وتابعتها بكلِّ دفقة من دفقات دم قلبك، وأرهصت لها بكتاباتك ومقالاتك، من كان يصدِّق وفي هذه اللحظة بالذات أن تقوم شرذمةٌ من العصاة الحفاة ليشعلوها فتنة عمياء؟ ويؤجِّجوها نيرانًا هوجاء؟ ضدَّ مَن؟ ضدَّ إخوانهم في الدين، وجيرانهم في السكن، ومواطنين لهم في السرَّاء والضرَّاء، وهم يفعلون ذلك لماذا؟ استكبارًا من أن تُسمَّى متوسطة تعليمية

---

*- مقال كُتب بعد فتنة القرارة التي قام بها بعض العنصريين رفضًا لتسمية متوسطة باسم "محمد علي دبُّوز" سنة 1989، وقد أرسلناه إلى جريدة "الشعب" ولكنها لم تنشره.